

ما لا يجوز جهله

عَنْ الْإِبَاضِيَّةِ

محاضرة ألقاها الشيخ:

مسعود بن محمد المقبالي
في وادي ميزاب - الجزائر

كتبه:

أبو الزبير هلال بن مكتوم البلوشي

الطبعة الأولى

1435 هـ \ 2015 م

التصميم والإخراج الفني:

عدنان بن سعيد الجلنداني - 95471345

مكتبة وتسجيلات روائع نور الاستقامة

سناو - ولاية المضيبي

99252158 - 99187854



مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين .. الحمدُ لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً .. سُبْحَانَهُ هُوَ الْأَوَّلُ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَهُوَ الْبَاطِنُ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .. أَوَّلُ بَلَا بِلَا ابْتِدَاءٍ، وَآخِرُ بَلَا بِلَا انْتِهَاءٍ... لَا افْتِتَاحَ لَوُجُودِهِ، وَلَا نِهَآيَةَ لِبَقَائِهِ ، بَلْ وَجُودُهُ مُطْلَقٌ مُسْتَمِرٌّ، لَيْسَ بِجَوْهَرٍ فَيَقْدِرُ لَهُ الْمَكَانُ، وَلَا بَعَرَضٍ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ، وَلَا بِجَسَمٍ فَتَكُونُ لَهُ الْجِهَةُ وَالتَّلَقُّاءُ، مُقَدَّسٌ عَنِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ، مُرِيٌّ بِالْقُلُوبِ وَإِنْ حُجِبَتْ عَنْهُ الْأَبْصَارُ.

مَا جَاوَزَتْهُ وَلَا مَدَى لِمَدَاكَ

أَتَرَكَ عَيْنٌ وَالْعَيُونَ لَهَا مَدَى

مَا جَاوَزَتْهُ وَلَا مَدَى لِمَدَاكَ

أَتَرَكَ عَيْنٌ وَالْعَيُونَ لَهَا مَدَى

فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَبِينَ عُلَاكَ

إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَكَ فَإِنِّي

فَأَجْرُ ضَعِيفٍ يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يَجِيرُ سِوَاكَ

سُبْحَانَهُ .. يَسْمَعُ حَدِيثَ النَّفْسِ فِي النَّفْسِ، وَالْمُهَاسَّةَ الْخَفِيَّةَ عِنْدَ اللَّمَسِ، وَيَرَى السَّوَادَ فِي الظُّلُمَاءِ، وَالْمَاءَ فِي الْمَاءِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ لَا تَرَاهُ الْعَيُونَ، وَلَا تَخَالُطُهُ الظُّنُونُ، وَلَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْحَوَادِثُ، وَلَا يَخْشَى الدَّوَائِرَ، يَعْلَمُ مِثَاقِيلَ الْجِبَالِ، وَمَكَايِيلَ الْبَحَارِ، وَعَدَدَ قَطْرِ الْأَمْطَارِ، وَعَدَدَ وَرَقِ الْأَشْجَارِ، وَعَدَدَ مَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهَارُ .. لَا تُؤَارِي مِنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً، وَلَا

ما لا يجوز جهله عن الإباحية

بحرٌ ما في قعره، ولا جبلٌ ما في وعره، من تكلم سمع نُطقه، ومن سكت علِم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه. واحد بلا عدد، قائم بلا عمد، دائم بلا أمد، جل أن تحويه الأمكنة أو تجري عليه الأزمنة .

فكيف بالسمع والنقول
طرفة عينٍ عند ذي الدلائل
يُعرف بالوصف الذي قد علما
وذاته تفسيرها ثباته
فالذات لا تُحد في التخاطبِ
وما عداه غيرُ عارفينا
وعن نظيرٍ وعن الأضدادِ
شيءٌ من الأشياءِ فلا تماري
ولا يزالُ باقياً فيما يلي
والكمُ والتعليلُ والكيفيه
حيث ولا تصوّبُن من سأل
وهو تعالى غير ذي الحوادثِ
فمفترٍ جلّ تعالى عنها
معناه هم ما عرفوه فادره
ومثلهم من ينكرُن تأويله
وجعلوا له أماماً وورا
سبحانه عن قول كُلِّ مفترٍ
واعتقدوا للمتناقضاتِ

معرفة الباري من العقولِ
ولا يجوز جهلها لجاهلٍ
ودركُ ذاته مُحالٌ إمّا
ونفسُ رب العالمين ذاته
يعني به نفس الوجود الواجبِ
فنحنُ بالوجود جازمونا
فنزّه الله عن الأندادِ
لأنه ليس كمثّل الباري
فهو قديمٌ دائمٌ لم يزلِ
وباطلٌ في حقه الأينيه
فلا تقل أين ولا كيف ولا
لأن هذا من صفات الحادثِ
ومن يشبهه بشيءٍ منها
ما قدره جَل حق قدره
وذاك حيث أنكروا تنزيله
فإنهم قد شبههوه بالورى
ونحو هذا من صفات البشرِ
تعلقوا بالمتشابهاتِ

بمحكماتٍ في الكتابُ ذُكرت
شيء فأين موضع الأشباهِ
والكافُ فيه زائدٌ للوصلِ
كناية عنه بلازم النهي
بقاءً ذاته وما أولاهُ
عظمه وقيل مثلُ الأولِ
مبسوطان هي نعمتاهُ
كذلك القبضة يا ذا قدرته
فُسر بالحفظ وغيره يُرد
موسى بعين تُصنَعُ فاعرفِ
رضاهُ أي تركتُ ما قد أمر
وهو الثواب منه للمعمولِ
وفسّروا ثوابه بالجنةِ
عن خلقه لكن خلقه حُجبُ
فتلك آية اتته فانهدمُ
خالقه أعظم فيه الخطأ
وأنه يدركها القهارُ

وما دروا بأنها قد فُسرت
ألم يقل ليس كمثل الله
في هذه الآية نفي المثلِ
وقيل ليس زائدا بل إنها
ويبقى وجه ربنا معناهُ
ثم تعالى جد ربنا قلِ
وقيل معنى قوله يدهُ
ويده فوقهم أي قوته
وقوله تجري بأعين فقدُ
ومثله آية طه وهي في
فرطت في جنب الإله فُسرا
وفسّروا رضاه بالقبولِ
وهكذا التفسير للمحبةِ
ولا يقالُ عنه أنه إحتجبُ
أما تجليه تعالى للعلمِ
ومن روى أن الرسول قد رأى
قد قال لا تدركه الأبصارُ

كان ولا مكان، وهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان، علم ما كان وعلم ما يكون، وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، كل شيء قائم به، وكل شيء خاضع له، ما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا كفر ولا إيمان، ولا زيادة ولا نقصان، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا حياة ولا

ما لا يجوز جهله عَنِ الْإِبَاضِيَّةِ

٥

موت، ولا حصول ولا فوت، ولا بحر ولا بر، ولا فجور ولا بر، ولا برد ولا حر، ولا عبد ولا حر، ولا سماء ولا أرض، ولا رفع ولا خفض، ولا بسط ولا قبض، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا سواد ولا ليل، ولا نوم ولا سبات، ولا قليل ولا كثير، ولا مأمور ولا أمير، إلا تحت هيمنته سبحانه .

جَلَّ جلاله وتقدَّست أسمائه، أحمدُه بعد ما على السماء، وما على الأرض وما بينهما، والصلاة والسلام على صاحب الدعوة العصماء، والراية البيضاء، والجبهة الغراء، الصلاة والسلام على السراج المنير والبشير النذير، صلوات الله وسلامه على من هو بين الناس محمود، وعند الله أحمد، صلوات الله وسلامه على من :

تمشي إليه على ساق بلا قدم
عن نفسه فأراها أيما شمم
والبحر في كرمٍ والدهر في همم
في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشم
أبر في قول لا منه وفي نعم
على حبيبك خير الخلق كلهم

جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً
وراودته الجبال الشم من ذهبٍ
كالزهر في ترفٍ والبدر في شرفٍ
كأنه وهو فرد في جلالته
نبينا الأمر الناهي فلا أحدٌ
مولاي صلٍ وسلم دائماً أبداً

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ورحم الله أئمتنا الهداة المهتدين .

وإن أجذبت يوماً بهم ينزل القطرُ
فصاروا بطن الأرض فاستوحش الظهرُ

رجال إذا الدنيا دَجَّتْ أشرقت بهم
أقاموا بظهر الأرض فاخضر عُودها

ما لا يجوز جهله عن الإباضية - رضي الله عن الإباضية - نتحدث عن ما لا يجوز جهله عن الإباضية لثلا يسيئ جهال مذهبنا لمذهبنا وحتى لا يتناول غيرنا علينا، فيستعرض الواحد منهم هذه المبادئ التي كالشمس وضحاها، وكالقمر إذا تلاها، وكانها إذا جلاها، بصورة تجعل القلب كسيراً حزيناً كئيباً . وجهل الغير بهذا المذهب الشريف المُنِيف اللطيف الباذخة أركانه، الشامخ بنيانه أمر قد تجرعنا منه غصصاً ولا زلنا .

قصة مع صاحب مصر :

كنت في جلسة في مصر وفي بداية الجلسة قام أحد مشائخ الجلسة الذين عُقد بيني وبينهم اللقاء ليُعرف بي - والأصل أن أعرف بنفسي - لأن هذا الشيخ الذي يريد أن يُعرف بي ما لقيته قبل تلك الجلسة ولا أعرفه أصلاً . فقام ليُعرف بي وقال: **الضيف من عُمان واسمه فلان بن فلان، وهو من الإباضية، والإباضية طبعاً فرقة من فرق الخوارج -** والشيخ في تعريفه هذا مخطئ بلا شك فعندما يصل للخوارج ولهذا الحد فإنه يضع سداً منيعاً بين آذان الحاضرين من أتباعه، وبين ما سأقول؛ وذلك لأنه إن أوعى مسامع أتباعه أنني من الخوارج فإن حديث ابن ماجة يقول: **«الخوارج كلاب النار»** وهو حديث صححه الشيخ الألباني .

ثم إني في تعقيبي عليه قلت : (يا شيخ تعريفك بي تعريف خاطئ باطل، لسننا من الخوارج) - وهذه القضية ناقشت فيها غير واحد - قلت لأحدهم يوماً لما قال إن الإباضية خوارج : **«الله قال في كتابه أن الإباضية خوارج ؟ قال : لا . قلت: هل النبي صلى الله عليه وسلم في سنته قال أن الإباضية خوارج ؟ قال : لا . قلت: صحابي من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مع أن كلامهم يحتمل الخطأ والصواب، لكن على رأي القائلين بحجية فهم السلف، الصحابة الكرام هل قال قائل منهم : الإباضية خوارج ؟ قال : لا . قلت : من أين أتيت أنت بفكرة الإباضية**

ما لا يجوز جهله عن الإباضية

٧

خوارج ؟ قال : قال علماؤنا ذلك !!

أفنى لك هذا ؟ لم يقل الحي القيوم، ولا النبي المعصوم، ولا الصحابة الكرام الذين تعتبر كلامهم حجة أن الإباضية خوارج، إذا من أين أنت انتزعت قولك هذا ؟

أي الفريقين أقفى للهدى أثرا	بل أهل دعوة من للحق قد نصرا
سل جابر وابن عباس وعائشة	وسل ميامين بدر تعرف الخبرا
وسل أبا حمزة الشاري وخطبته	أي الفريقين أقفى للهدى أثرا

قصة مع الشيخ سعيد بن حمد الحارثي (رحمه الله) :

كنا في جلسة مع شيخنا سعيد بن حمد الحارثي - نور الله مضجعه، وفي جنان الخلد أضجعه، وذكرنا قول بعض كُتّاب المقالات أنه قال : الإباضية يحجون في سائر شهور العام، والإباضية يحرمون أكل السمك إلا مذبوحا، والإباضية يتيممون على الآبار، والإباضية يحرمون أكل قضيب التيس !

والجزء من جنس العمل لما اجترأ الكاتب على هذه المقالة - علّق الشيخ على قوله هذا فقال : بالله عليكم توضع بين يديك ذبيحة بشحمها ولحمها تترك كل هذا وتذهب للقضيب ؟! لنا الذبيحة، وتركنا القضيب للتيس إن كان غيور جدا .

هذا عندما يجهلنا غيرنا وإن عُذر الأوائل على هذه الجرأة، فإن الأواخر لا يُعذرون إطلاقا، ولا نُعذر نحن عن بيان حقيقة ما نحن عليه من فكر ومبدأ ومنهج وعقيدة وتاريخ؛ لأن إخفاء منهجنا وفكرنا وعطائنا ظلم للإنسانية والحضارة .

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم	والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرأ
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكَبّروا	في مسمع الروح الأمين فكَبّروا

عَنْ الْإِبَاضِيَّةِ مَا لَا يَجُوزُ جَهْلُهُ

وإن أول ما لا يجوز جهله عن الإباضية ، ويجب أن يُعرف عنهم أنهم **ينزهون الله تبارك وتعالى تنزيهاً مطلقاً لا يدنسهُ شيء من الأدناس** ؛ لانهم وصفوا الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في المتواتر من سنته .

لا يُخالف مخالف في أن الله يُوصف بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله في سنته، فبأي شيء تميزنا ؟ نحن تميزنا بأننا نثبت لله بما ثبت أن الله وصف به نفسه في كتابه ، ونثبت لله بما ثبت أن رسول الله أثبتته في سنته، ولا نطلق هذا الكلام وهذه القاعدة على علاقتها ؛ لأن البعض قال : نثبت لله ما أثبتته لنفسه فما جاء في كتاب الله من نعت من الله لله أثبتناه له على ظاهره من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، فمررها كما جاءت على ظاهرها إقراراً وإمراراً .

ولما ناقشنا أصحاب هذا المسلك قالوا : نحن لم نأت بشيء من عندنا - الله أثبت لنفسه ونحن أثبتناه - وهذا الكلام يُغري السطحين الذين وصفهم الله في كتابه بقوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ - بسبب غلبة الجهل - وهذه الشريحة التي تطغى على المثقفين والواعين هي التي يقتات على جهلها كل فكر منحرف معوج . ثم يُجند هؤلاء من أجل إطلاق التهم والسباب والشتائم بل يجترئون على سفك الدماء . وأما منهج القائلين بأننا نثبت لله ما أثبتته لنفسه فإنهم أرادوا بذلك إقرار الظواهر وإمرارها على ما هي عليه .

الاستواء على العرش :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، هذه الآية ظاهرها يدل على أن الله له مكان فوق العرش - هذا هو الظاهر -

ما لا يجوز جهله عن الإباحية

ولما ناقشت أحدهم في

بالظاهر دائماً، ولا أختلف أو أتخلف. قلت له : فلنتفق على الالتزام بالظاهر وأنا سأوافقك في قاعدتك هذه حتى حين، لكن أرجو أن تثبت أنت عليها وألا تغير كلامك. الآن اتفقنا أنا وأنت على مذهب واحد ورأي واحد وهو الإقرار والإمرار، والأخذ بالظواهر وبناء المعتقد عليه ، حسن ؟ قال : حسن .

قلت : هذه الآية يثبت الله فيها لنفسه مكانا هو فوق العرش، لكن في آية ثانية يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وهذا الصراط المستقيم ليس العرش بل هو شيء آخر، إذاً هذا مكان ثانٍ عليك أن تلتزم بالظاهر. في آية ثالثة يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ ، وهذا مكان ثالث غير العرش وغير الصراط المستقيم، وفي آية رابعة يقول الله تبارك وتعالى عن نبيه وكليمه موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ، وكان موسى عند شاطئ البحر الأحمر عندما قال هذه القالة، وفي آية خامسة يخبرنا ربنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو في غار ثور أنه قال : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ، ويخبرنا الله عن خليله إبراهيم أنه قال : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ، ويقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى : ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ ، ويقول في آية أخرى : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ، والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته يقول : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ، ويقول كذلك : (أوما علمت أن عبدي فلان قد مرض ، أوما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده)

(وإذا كان أحدكم في صلاته فلا يبصق قبل القبلة فإن الله بينه وبين قبلته) ، بأي هذه الظواهر ستأخذ ؟! قال : كل هذه على غير ظاهرها إلا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ! قلت له : لقد نقضت قاعدتك ..

مبدأ الأخذ بالظاهر :

وعلى أية حال فإن مبدأ الأخذ بالظواهر يُبطل مصدر القرآن أنه من عند الله؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ، والالتزام بالظاهر يُفضي إلى هذا الخلاف؛ لأن الله سبحانه وتعالى يثبت لنفسه يد، ويثبت أكثر من ذلك ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ فبأي هذه الظواهر ستأخذ؟

﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ﴿ وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ مفرد فالأولى وجمع فالثانية فبأي هذه الظواهر ستأخذ ؟

الأخذ بالظاهر قاعدة عاطلة باطلة ، بل فاسدة كاسدة لا يُلْتَفَت إليها ولا يَعُول عليها ويضرب بها عرض الحائط .

وحتى في السنة المطهرة الآخذون بمسلك إثبات الصفات بالإقرار والإمرار والأخذ بالظاهر ناقضوا هذه القاعدة وهشموها تهشيمًا، وجعلوها جذاذًا حطاما ولم يُيقوا فيها سالما إطلاقا، ولا أدل على ذلك من بعضهم عندما أتى إلى حديث (لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر)، قال : لا، هذا الحديث ليس على ظاهره وإلا فإن ظاهره يثبت الألوهية للدهر أليس كذلك ؟

كذلك حديث (فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ورجلا) - الأخذ بالظاهر يفضي إلى عقيدة الحلول، وهم يحاربونها أشد المحاربة . فالأخذ بالظاهر مسلك باطل.

ما لا يجوز جهله عن الإباضية

فنحن عندما نقول : ثبت لله ما ثبت أن الله أثبتته لنفسه نخرج الأخذ بالظاهر، وعندما نقول ونثبت له ما ثبت أن رسوله - صلى الله عليه وسلم - أثبتته له في سنته، فإننا نعني بذلك المتواتر لا سواه مع التنصيص على الصفة إثباتاً أو نفياً. أما خبر الواحد فإننا لا نبني عليه معتقداً، ولن أطيل بحث هذه القضية كثيراً - فإن قضية عدم ثبوت الاعتقاد بأخبار الآحاد، قضية يُجهز عليها من أول منازل لا تحتاج إلى عناء طويل، وبسنان ولسان القائلين بحجية هذا تقطع .

وقد ناقشت شيخاً منهم في رحلة مصر حول هذه القضية، فقال : من العجب أنكم لا تبنون عقيدة على حديث تقرّون بصحته . قلت : نعم قد يصح الحديث ولا نبني عليه معتقداً كما أن الآية عندنا قطعية الثبوت، ولكن لا نبني عليها معتقداً؛ لأنها من قبيل المتشابه، والمتشابه قال عنه ربنا جل وعلا : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ ، رغم أنه قرآن، ومع ذلك وصف متبعيه بالزيغ فكيف بالأحاديث والروايات ؟ الحديث قد يصح ويكون صحيح الإسناد ولكن لا يبنى عليه معتقداً . قال : لماذا ؟ قلت : لأنكم أنتم بإجماعكم خبر الواحد تصحيحه وتضعيفه أمر ظني ليس بقطعي أليس كذلك ؟ قال : بلى. قلت : إن كان التصحيح أمر ظنياً هل يُبنى على الظن قطع ؟ فعاد بقاعدة أخرى ليخرج من هذه القبضة ، فقال : نعم إلا ما رواه البخاري ومسلم !! قلت له : لم ؟ قال : لأن الأمة تلقّتهم بالقبول . قلت : هذه سنعد لها مُناظرة خاصة، لكن سلّمت معي أن حديث الآحاد الصحيح مبني تصحيحه على الظن إذ لا يُبنى عليه معتقداً اتفقنا على هذا القدر والحمد لله . بقي بعد ذلك ما رواه الشيخان هذه مسألة سنأتي عليها في مناظرة أخرى، ولما وقعت المناظرة وأوقفت الشيخ على نصوص القائلين من أسلافه وأئمة بأن جماهير الفقهاء والمحدثين لم يفرّقوا بين البخاري ومسلم وغيرهما . قال : لا تأتني بالنووي ولا بابن عبد الشكور، ولا تأتني بهؤلاء اثني بأمة أنا أعتد بهم . قلت له : أعتد بابن تيمية ؟ قال : نعم . قلت : ابن تيمية

صَّعَفَ أَحَادِيثُ الْبَخَارِيِّ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى - أَكْثَرُ مِنْ حَدِيثٍ - صَحِيحٌ هَذَا أَمْ لَا يَا شَيْخَ ؟ قَالَ : نَعَمْ صَحِيحٌ . قُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . **قَطَعْتَ جَهِيْزَةَ قَوْلِ كُلِّ خَطِيْبٍ .**

هَذَا إِمَامٌ تَعَتَّدُ بِهِ صَّعَفَ أَحَادِيثُ الْبَخَارِيِّ . هُنَالِكَ قَالَ الشَّيْخُ : أَنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ سَأَبْحُثُهَا بَحْثًا جَادًا أَتْرُكُكَ الْآنَ وَأَغْلِقُ الْحَوَارِ !!

مَسْأَلَةٌ عَقَائِدِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَبَحْثٍ جَادٍ !! هَذِهِ لَيْسَتْ بِغَرِيْبَةٍ ؛ لِأَنَّ مِنْ ثَمَرَاتِ الْأَخْذِ بِحَدِيثِ الْآحَادِ أَنْ يُثَبِّتَ بَعْضُهُمْ بِنَاءً عَلَى حَدِيثٍ صَحَّ عَنْهُ عَقِيْدَةٌ ، وَيَأْتِي آخَرُ بِنَاءً عَلَى ضَعْفِ هَذَا الْحَدِيثِ وَيُهْدَمُ تِلْكَ الْعَقِيْدَةُ ؛ وَلِذَلِكَ لَا تَعْجَبُ إِنْ وَجَدْتَ فِي أَسْفَارِ هَؤُلَاءِ قَوْلَهُمْ بِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ فِيهَا أَقْوَالٌ تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ قَوْلًا ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ عَقَائِدِيَّةٌ !!

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ يَنْزَهُونَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَنْزِيْهًا مُطْلَقًا وَيَبْنُونَ هَذَا التَّنْزِيْهَ عَلَى الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَالْكِتَابُ الْعَظِيمُ - كَمَا تَعْلَمُونَ - ذَكَرَ مَنْزِلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ ، وَإِلَى آيَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ مِنْ سُورَةِ آلِ

عِمْرَانَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . فَالْقُرْآنُ مَنْقَسِمٌ إِلَى مُحْكَمٍ وَإِلَى

مُتَشَابِهٍ ، فَالْإِبَاضِيَّةُ فِي اسْتِدْلَالِهِمْ بِعَقِيدَتِهِمْ يَحْتَجُونَ بِالْمُحْكَمِ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ أُمُّ الْكِتَابِ أَيُّ : الْأَصْلُ وَالْمَرْجِعُ فِي فَهْمٍ غَيْرِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ . وَالْمُحْكَمُ هُوَ مَا وَضَحَتْ دَلَالَتُهُ فَلَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا اشْتِبَاهَ ، وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا لَمْ تَتَّضَحْ دَلَالَتُهُ وَعَلَيْهِ فَالْاسْتِدْلَالُ بِالْمُحْكَمِ هُوَ اسْتِدْلَالٌ مُحْكَمٌ قَوِيٌّ قَطْعِيٌّ . وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَالْاسْتِدْلَالُ بِهِ ظَنِّيٌّ .

ما لا يجوز جهله عَنِ الْإِبَاضِيَّةِ

فكل دليل جاز أن تتزاحم عليه المعاني فهو متشابه لا يُحتج به في العقيدة؛ وكل دليل لم تتزاحم عليه المعاني فهو دليل قطعي يُحتج به في العقيدة، وهو حجة في إثبات الصفات الإلهية، وهو الأصل الذي به يفهم غيره. وبهذا أحكم الإباضية منهجهم في الاستدلال لعقيدتهم بكتاب ربهم تبارك وتعالى .

وأما منهج الآخذين بالظاهر - كما أسلفنا آنفا - فهو منهج يفضي إلى القول بتناقض القرآن وتعارض آياته ومثلنا على ذلك بقضية إثبات المكان لله بناء على ظاهر قول الله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، فإن هذه الآية تثبت مكانا غير المكان الذي أثبته قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وهذه تثبت أيضا مكانا غير المكان الذي يثبته قول الله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ ، وغير المكان الذي يثبته قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ، وغير المكان الذي يثبته قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ، هذه كلها أماكن لو حكمنا ظواهرها لخرجنا بنتيجة متعارضة متناقضة متباينة؛ لأن هذه الآيات غير محكمة فلا يحتج بها في العقائد .

أما المحكم فمنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، فالله لا كشيء، وهذا هو الأصل وعلى المستثني شيئا من هذا الإطلاق أن يقيم الدليل عليه .

فلو جاء أحدهم وقال : لا بأس من إثبات يد ليس كمثلهما يد . قلنا : نفس الإثبات تشبيه قبل أن نخوض في مسألة الكيفية نحن نصطدم معك مع نفس الإثبات، فالإثبات محتاج إلى دليل . فإن قال : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ - قلنا : قبل أن نناقشك في مآلات هذا الاستدلال في نفس الدليل أناقشك أهو محكم أم متشابه ؟ أهو قطعي أم ظني ؟ هذا النص أتزاحم عليه المعاني أم لا تتزاحم عليه المعاني ؟

الجواب: نعم تتزاحم عليه المعاني . إذاً الذهاب إلى معنى من هذه المعاني ظن لجواز معنى آخر وجواز معنى ثالث ورابع قد يكون، وعليه فيجب صرف هذا النص عن ظاهره واليد عَنِ معنى اليد إلى معنى يتناسب وقوله تبارك تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، فلا يجوز حمل اليد على ظاهرها . فإن قال : ثبت لله يد لكن لا نعلم كيفيتها . قلنا : لا نريد أن نناقشك في الكيفية أصلاً . نريد أن نناقشك في إثبات نفس الصفة . هل ثبتت بدليل قطعي؟؟

إذا فنحن لا نثبت صفة من صفات الله إلا بدليل يساوي في قوته قوة الدليل الذي أثبتنا به وجود الله ووحدانيته . هل ثبت وجود الله ووحدانيته بدليل يحتمل أم بدليل ينفي كل شك ؟؟ الجواب : بدليل قطعي . كذلك اليد أهى في قوة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ - الجواب : لا - إذاً لا يصح أن يبنى على هذا النص دليلاً نُثبت به صفة اليد لله، ولا داعي بعد ذلك لأن نناقش لوازم هذا المذهب من أن اليد جارحة لها أصابع، وأنها تُفضي إلى الافتقار؛ لأن أصل الدليل لم يثبت .

ما لا يجوز جهله عَنِ الْإِبَاضِيَّةِ

تفسير معنى اليد :

اليد عند العرب تُطلق ويُراد بها معان وقد يضاف هذا إلى ما لا يد له، قال الله تبارك تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ، والقرآن لا يد له . إذاً العرب تُجيز إطلاق اللفظ هذا على ما لا يد له حقيقة أصلاً . وكذلك يقول تبارك وتعالى : ﴿ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ .

والعرب تقول مثلاً فلان يده طويلة وهذا اللفظ نفسه يراد به معان :

فلان يده طويلة : أي أن له سلطه.

ويقال فلان يده طويلة : أي أنه يؤذي خلق الله بيده.

وفلان يده طويلة : أي طويلة حقيقة.

وفلان يده طويلة : أي لص.

إذاً : اليد تحمل على معان في كلام العرب فجاز تزاحم المعاني عليها، فإذا جاز تزاحم المعاني عليها، لا يجوز أن يُبنى عليها معتقد . ثم يتأيد هذا المعنى من سياق الآية ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، هل أراد الله في هذه الآية أن يُخبرنا بأنه متصف باليد؟ أم أراد أن يُخبرنا بأمر آخر وهو الذي يُفهم به معنى اليد ؟؟

لكن : قد يقول المعارض ممن ينهج نهج الأخذ بالظاهر : قلت إن اليد بمعنى النعمة، واليد بمعنى القوة، واليد بمعنى القدرة فماذا تفعل في قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ أبقدرتي؟؟ أم بقوتي؟ هل القوة والقدرة تشني؟ هل الله يتصف بقوتين أو قدرتين؟ ما جواب هذا؟

الجواب : العرب تستعمل اليدين عند العجز عن المزاولة بالواحدة، هذا وارد عند العرب فهل تحمل هذه الآية على هذا المعنى ؟ طبعاً لا.

والعرب تستعمل هذا الأسلوب مع عدم إرادة ظاهره، المصافحة باليد الواحدة تتم بها المصافحة لكن المصافحة بكلتا اليدين تتم بها المصافحة مع معنى آخر وهو مزيد إكرام . **مثال /** أقول اسقني ماء فتناولني الكأس بيد واحدة، تَمَّتْ المناولة ولكن إن ناولتني الكأس بكلتا يديك تَمَّتْ المناولة مع معنى زائد ألا وهو **الإكرام** مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ، فهم خلقوا خلقاً مازجاً للكرامة والإكرام .

تفسير معنى الوجه :

الوجه - يطلق الوجه على ما لا وجه له، قال تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ ، والنهار لا وجه له ! ويقال : هذا الأمر باطل من وجوه، مع أن تلك الأمور لا وجوه لها . الوجه يأتي بمعنى ابتداء الشيء، والوجه يأتي بمعنى الجارحة، والوجه يأتي بمعنى الذات ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ، فإذا جاز تزامم المعاني على اللفظ لم يجوز أن يبنى عليه معتقد .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ لا يجوز أن يبنى عليه معتقد؛ لأنه تزاممت عليه المعاني، وبهذا لا تكون قوته مساوية لقوة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في إثبات الوحدة فوجب حمله على المعنى الأليق، والذي يناسبه السياق والسباق واللاحق ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ، فدل ذلك على أن الوجه إما يراد به الذات .

ما لا يجوز جهله عَنِ الْإِبَاضِيَّةِ

تفسير معنى العين :

العين - ﴿وَلُصِّنَ عَلَى عَيْنٍ﴾ ، ناقشت أحدهم حين قال : لله عين - أثبت الله لنفسه عيناً وما دخلك أنت تناقش رب العزة وتقول : يا رب لا عين لك ؟ هو قال له عين فلم تناقش ربك ؟؟ قلت : طيب لن أناقش ربي، يا رب لك عين صنعت عليها موسى ولم تناقش ربك ؟ ربك قال : ﴿وَلُصِّنَ عَلَى عَيْنٍ﴾ فلا تناقش ربك، لله عين صنع عليها موسى - ما رأيك يا صاحب الفضيلة ؟ قال : لا أقول ذلك . قلت : أنت التزمت بالظاهر فالتزمت على الإطلاق بلا تقييد العين حقيقية والصنع حقيقي والعلو حقيقي . قال : العين حقيقه والصنع حقيقي أما العلو فليس بحقيقي ! **هذا لا يسمى منهجا .**

هل لما قال الله تعالى لموسى ﴿وَلُصِّنَ عَلَى عَيْنٍ﴾ يريد إخبارنا بأن له عينا ؟ أم يريد إخبارنا أنه صنع موسى على عنايته ؟ وهل هذا المعنى جائز في لغة العرب ؟ **مثال 1/** أقول لك : اسقني ماء . فتقول : من العين هذه قبل العين هذه . **مثال 2/** وأقول لك : احفظ سيارتي عندك . فتقول : سيارتك على العين والرأس . وإنما تريد بذلك المبالغة في الحرص عليها وحفظها ؟ هذا هو الذي يتداوله اللسان الزكي العربي، والقرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ، فإذا جاز أن يكون معنى العين بمعنى العناية، وحمله على معنى الجارحة متعذر؛ لأن الدليل لا يساوي في قوته قوة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في إثبات الوحدةانية - أي : هو ليس بقطعي، وجب صرفه عن معنى العين لمعنى آخر تقره العربية، وأليق برب البرية.

تفسير معنى الاستواء :

قال تعالى : ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ ، فإن الاستواء هذا يردُّ في كلام العرب على معانٍ ، أي : تتزاحم عليه المعاني فلا يجوز أن يبنى عليه معتقد .

الاستواء يأتي بمعنى التمام ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ ، والاستواء يأتي بمعنى التماثل والتساوي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ويأتي بمعنى الهيمنة ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ .

والعرب تقول :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وتقول كذلك :

إذا ما غزا قوم أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى

وتقول كذلك :

ولما علونا واستوينا عليهم تركناهم جزرا لنسر وطائر

فالاستواء - يأتي بمعنى الملك والهيمنة، وأما القول بأن استوى بمعنى استقر فإن هذا المعنى صحيح لغة لكن لجواز تزاحم المعاني عليه فإنه لا يجوز أن تثبت به عقيدة، ولا اعتبارات أخرى كاللوازم؛ ولأن الدليل أصلاً غير مؤهل لأن يبنى عليه معتقد فهو دليل مشتبّه تتزاحم عليه المعاني وليس بقوة قول الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في إثبات الوحدانية فلا يجوز أن يُبنى عليه معتقد ويثبت به

ما لا يجوز جهله عَنِ الْإِبَاضِيَّةِ

المكان لله . ولو أنك أكملت الآيات التي بعدها لعلمت أنه لم يرد به إثبات المكان لله وإنما إثبات الهيمنة وهو قوله تبارك تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ ، فاستوى بمعنى : هيمن - ملك - قهر.

تفسير معنى الرؤية :

قال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ﴾ (٢٣) ، النظر لفظ تتزاحم عليه المعاني فهو من المتشابهات وليس من المحكمات، فدلالته على الرؤية ظنية كما أقر به الطاهر ابن عاشور في تفسيره؛ لجواز أن يحمل النظر على معنى الرحمة. وفي لغة العرب النظر يجوز بمعنى الرؤية ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ لكن : هل يجوز حمله بمعنى الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۚ ﴾ (٢٣) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ ؟؟ الجواب : لا ؛ لأننا لو حملناه على معنى الرؤية لصادم قوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ، والقرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ، ولا يجوز أن يقال بأن الخبر ناسخ لذاك، فالنسخ لا يجوز في الأخبار، فإذا لا يجوز أن يُقال بأن هذا الخبر ناسخ لذاك .

إذا : حمل النظر في هذه الآية ممتنع لقوله تبارك وتعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

معنى آخر : النظر يرد في لغة العرب ويراد به الرحمة قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : لا يرحمهم . فهل يجوز حمله على هذا المعنى هنا ؟

أي : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها راحمه؟؟ ، طبعاً لا يجوز ذلك .

هناك معنى ثالث في لغة العرب بمعنى التدبر والتأمل والفحص ﴿ **أَنْظُرُوا** إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ ، فهل يجوز حمل النظر هنا على معنى التأمل والفحص ؟ **الجواب :** لا؛ لأن الدار الآخرة ليست محل نظر و تأمل وفحص، ثم إن التأمل والفحص فرع عن الرؤية التي لم تثبت أصلاً .

هناك معنى آخر وهو **الانتظار** من معاني النظر فهل يجوز حمله على هذا هنا ؟؟ **الجواب :** نعم، فلا يوجد مانع لغوي، ولا يوجد مانع عقلي فإذاً يجوز حمله على الانتظار بأدلة منها السياق ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾ (٢٥) والظن : انتظار . فإذاً تلك وجوه تنتظر أن يفعل بها فاقرة وهذه وجوه تنتظر رحمة من الله .

وهذا الكلام استساغه أهل العربية الذين هم أهلها واستساغه علماءها **كمجاهد بن جبر** وقد روى عنه **ابن جرير الطبري** بخمسة أسانيد صحيحها **الحافظ بن حجر العسقلاني** في الفتح بأنه : فسر النظر بالانتظار، يقول **الذهبي** عن **مجاهد** : بأنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يستوقفه عند كل آية ! بل ورد أنه عرضه عليه أكثر من ثلاثين مرة يستوقفه عند كل آية !.

فأهل العربية الذين يُحتج بعريبتهم قالوا بأن النظر بمعنى الانتظار.

ولا يوجد تفسير من كتاب الله بالنظر هنا على معنى الرؤية، ولا يوجد في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث صحيح يفسر النظر بالرؤية، ولا يوجد دليل صحيح عن أحد من الصحابة يفسره بالرؤية، ولا يوجد أثر ثابت عن التابعين يفسره بالرؤية . ولكن يوجد في كتاب الله ما يؤيد تفسيره بالانتظار ألا وهو السياق، ويوجد في كتاب الله ما يفسره بالانتظار ألا وهو خاتمة سورة عبس

ما لا يجوز جهله عن الإباضية

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٨) ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن نفسه . فحمله على معنى الانتظار فسرهُ القرآن الكريم .

وأجازه علماء العربية، ومنهم من فسره به **كالمرتضى الزبيدي** في كتابه تاج العروس قال : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٣٢) **إِلَى رَيْبَهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٣٣) أي : منتظرة .**

وكذلك استساغ ذلك **أبو حيان** في البحر المحيط ، لما نقل عن ابن عطية أن المعتزلة تأولوا النظر بالانتظار قال أبو حيان معلقا : وهو قول سائغ في اللغة العربية ، وأبو حيان إمام من أئمة العربية .

لكن : هل تفسير النظر بالرؤية سائغ في اللغة العربية ؟ وهل هو بقوة معنى الانتظار عند القائلين بالانتظار ؟

الجواب : لا، بدليل إسناد النظر إلى الوجوه، وهو ما لا يعرفه العرب فضلاً عن إقرارهم به، ولذلك لو أركضت خيل فكرك وذهنك وشرقت في ميادين أدب العرب الاقتحاح، وغربت لتقتنص شاهداً واحداً منثوراً أو منظوماً فيه إسناد النظر إلى الوجوه على معنى الرؤية، فإنك لن تجد لا على حقيقة كلامهم ولا على مجازهم. وحاولوا أن يقولوا هنا إن النظر في الآية بمعنى المجاز؛ لأن النظر محلها العيون والعيون محلها الوجوه مجازاً يجوز ذلك !!

قلنا : إذا توسعنا في المجاز يجوز للقائل أن يقول أكلت بوجهي، شربت بوجهي، تذوقت بوجهي، شممت بوجهي ؛ لأن هذه الآلات محلها الوجوه. وتوسعا لاستعمال المجاز لم لا نقول : أكل وجهي، وشرب وجهي، وشم وجهي؟! لا يجوز، ولا تستسيغه العربية ولا على سبيل المجاز ، فكيف أجزتم نظر وجهي بمعنى رأى؟؟

إذاً إسناد النظر إلى الوجوه من أقوى صوارفه عن معنى الرؤية .

فإذاً - في الكتاب العزيز معاشر أهل الإستقامة لا نحتج في عقيدتنا إلا بالمحكم؛ لأن الله غيب والغيب لا يتسلق لمعرفة مضمون، ولا مطعون فيه، وإنما يتسلق إلى قطع القلب وجزمه به عن طريق القطعي من الأدلة والنصوص التي لا تتزاحم عليها المعاني .

هذا بالنسبة لآيات الكتاب فإذا تبين أن عقيدتنا مبنية على القطعي من كتاب الله تنتقل بعده إلى منهجنا في الاستدلال والاحتجاج بالسنة المطهرة.

السنة النبوية - أقوال النبي وأفعاله، ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يشهده جمع يسير من الناس أو جمع عظيم . الجمع اليسير أو القليل هؤلاء آحاد من الناس، والجمع الكبير هؤلاء هم المتواتر ينقله عنهم جمع كبير عن جمع كبير عن جمع كبير إلى جمع كبير وهكذا .. نحن نحتج في عقيدتنا **بالمواتر** مما جاء عن النبي بجانب أن يكون قطعي الدلالة في موضوعه .

خبر الآحاد لا يجوز أن يحتج به في إثبات العقائد ما لم يكن موضوعه موافقاً للقطعي من كتاب الله . فإن تأيد بالقطعي احتج به، وإن عارض القطعي وأمكن تأويله بما يتفق مع القطعي فحسن وإلا ضرب به عرض الحائط لا يقبل في إثبات العقائد؛ وذلك لأن الأسانيد تصحيحها وتضعيفها أمر راجع إلى اجتهاد تصحيح وتضعيف المجتهد . فإذا قال عالم ما : هذا حديث صحيح الإسناد مثلاً فإن هذا لا يكون إلا مجرد اجتهاد يجوز أن يكون خطأ، إذا فهو ظني، فهل يجوز أن يبنى اليقين على الظن ؟ ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ . فإذا كان تصحيح الأسانيد أمراً ظنياً فإذا لا يجوز أن نعتقد عقيدة بناءً على خبر يجوز فيه الثبوت وعدمه .

ما لا يجوز جهله عن الإباضية

وأما الذين أجازوا الاحتجاج بخبر الواحد وقعوا في اضطرابات خطيرة وكبيرة، فبناء على تصحيح رواية يثبت المصحح عقيدة وبعد عشر أو عشرين سنة يأتي عالم آخر، وينظر في هذا الإسناد فيرى أنه لا يصح الاحتجاج به، وعليه تكون تلك العقيدة باطله، بعد ثلاثين سنة يأتي عالم آخر فينظر في نفس الإسناد فيترجح عنده أنه صحيح فينهض مرة أخرى للدفاع عن هذه العقيدة !!

أسطورة الأوعال :

حديث العباس بن عبد المطلب المعروف (بأسطورة الأوعال)، بأن فوق السماوات بحر وفوق البحر أوعال ثمانية وفوق الأوعال الثمانية العرش والله فوق ذلك، هذا الحديث صححه جملة من علماء الحديث، صححه **ابن القيم الجوزية** في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، وقال : هذا حديث صحيح، وصححه من المتأخرين الشيخ **أحمد شاكر** في تعليقاته على مسند الإمام أحمد مع أن فيها أن الله فوق ثمانية أوعال!! بينما ذهب آخرون إلى القول بضعف هذه الرواية ، والمسألة مسألة عقائدية!!

ينص الشيخ **الفوزان** في تعليقاته على عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب على أن القضايا الاعتقادية لا يجوز الاختلاف ولا الاجتهاد فيها؛ لأنها مبنية على النصوص القرآنية المحكمه . **والشيخ العثيمين** يقول : إن من صفات أهل البدع الاختلاف في العقائد والشيخ بنفسه يصحح حديث **الاستلقاء** (أن الله لما خلق السماوات استلقى ووضع رجلا على رجل)، ويصححه **أبو يعلى الفراء** في كتابه إبطال التأويلات ويصححه **ابن القيم الجوزية** في اجتماع الجيوش الإسلامية، بينما الشيخ **الالباني** في تخريجه لاحاديث سنة ابن أبي عاصم يقول : هذا من وضع اليهود، مع أنهما على مذهب واحد !!

حديث الشاب الأمرد :

وحديث الشاب الأمرد (أن النبي رأى ربه في صورة شاب أمرد جعد قطط عليه تاج يلتمع ورجله في نعل من ذهب) - تعالى الله عن ذلك ، هذا الحديث صححه فريق منهم - قال ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية : كما في الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي رأى ربه في صورة كذا وكذا، وأورد ابن تيمية من صححه، والدارقطني في كتابه الرؤيا أوردته وأورد من صححه كأبي زرعة الرازي وغيرهم !! بينما ذهب فريق منهم إلى تضعيف هذا الحديث، بل إن منهم من ذهب إلى القول بأنه على ظاهره كأبي يعلى الفراء، بينما ذهب آخرون بالقول بأنه ليس على ظاهره وإنما أطلع الله نبيه على صورة غير صورته الحقيقية وهو المسمى بحجاب الصورة عندهم .

ولكن أبو يعلى يحارب ويقول : فإن قيل بأن هذه رؤيا منام والحقائق ليست كالمناجات، قيل : هذا باطل فإن الله تعالى أكرم نبيه بذلك ولا يجوز أن يكرمه على غير الواقع !

حديث وفد بني المنتفق :

هذا الحديث صححه ابن القيم في كتابه زاد المعاد، والذي فيه: (والملائكة الذين مع ربك يموتون وأصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد)، من ضمن هذا الحديث أن الله يأخذ قبضة ماء يرش بها وجوه العباد، قال ابن القيم عقب هذا الحديث : وهذا حديث كبير جليل تدل جلالته وعظمته على أنه خرج من مشكاة النبوة !!

ما لا يجوز جهله عن الإباضية

والسيد حسن السقاف علق على هذا الحديث فقال : هذا حديث مكذوب موضوع تشتم منه رائحة التلمود والنصارى واليهود .

وأذكر هذا الكلام كالتمثيل على أن العقيدة لا تبنى على التصحيح والتضعيف، ولما بنى قوم عقيدتهم على تصحيح الأسانيد وتضعيفها هذا ما آلو إليه .

كذلك مسألة الأخذ بالظاهر فقد وقعوا في تضاربات كبيرة ووصفوا الله تعالى بصفات بشعة كالرواية التي يوردها أبو يعلى الفراء في كتابه إبطال التأويلات (**أن الله يضحك حتى تبدوا أضراسه ولهواته**) قال : ولا مانع من إطلاق ذلك صفة لله تعالى لا كما يعقل !!

والشيخ ابن باز في الجزء الأول من - فتاواه نور على الدرب - لما سُئل عن حديث (**فإن أتاني يمشي أتيته هروله**) قال : هذا الحديث على ظاهره، ولكن ليس مشي الله كمشي الخلق ولا هرولته كهرولة الخلق !!

وهل الله يمل لحديث (**إن الله لا يمل حتى تملوا**)، ذهب الشيخ العثيمين إلى القول بأن الله يمل لا كما يمل الخلق !!

وحديث (**يؤذيني عبدي يسب الدهر وأنا الدهر**) هل الله يتأذى ؟ نعم يتأذى تأذياً حقيقياً لكن لا كما يعقل !!

هل الله يشم أم لا يشم ؟ لحديث (**دم الشهيد أطيب عند الله من ريح المسك**) المسألة فيها خلاف وأقوال عندهم !!

عندنا معاشر أهل الاستقامة لا نجيز إثبات العقائد لا بأخبار الآحاد، ولا بالنصوص الموهمة تشبيهاً، ولا بالنصوص التي تتزاحم عليها المعاني، بل بنبي عقيدتنا على المتين المكين المحكم الحكيم القطعي لتصح معرفتنا بربنا تبارك وتعالى .

عَنْ الْإِبَاضِيَّةِ مَا لَا يَجُوزُ جَهْلُهُ

وإذا كانت عقيدتنا مبنية على القطعي فإنه لا يجوز لقائل بعد ذلك: **ويجوز أن يخالفنا المخالف في هذه المسألة حسب اجتهاده.**

هذا كلام مريض وعليل؛ لأنك إن أيقنت أن ﴿لَا تَدْرِيكَهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِيكَ الْأَبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ قطعي الدلالة على انتفاء الرؤية وروداً وتنصيماً فإنك أجزت اعتقاد خلاف ذلك فإنك أجزت على الله سبحانه وتعالى أن يخبر بخبرين متناقضين، وهذا محال على الله وعليه؛ فإن الحق لا يتعدد.

بِسْمِ اللَّهِ